شعور المسلم بقداسة لغة القرآن يفسح المجال لانتشارها في انحاء المعمور

للأستاذ عبد الرسول عبد النبي الغريفان

استاذ الاجتماعيات
(معهد كرزكان)
البحرين

ان اللغة العربية من لغات العالم الحية ، وهي لغة سامية ، يتكلم بها اكثر من مائة مليون عربي في انحاء المعمور ، وقد شرفها الله قدرا واعلاها منزلة ، فجعل القرءان ناطقا بها ، وهي لغة خالدة باقية ، خلود وبقاء القرءان ، لم يتسرب اليها دخيل كغيرها من اللغات ، اللهم الا ما شذ مما ليس له تأثير مباشر في اللغة ذاتها.

وبما ان اللغة العربية هي لغة القرءان المجيد ولغة الدراسات الاسلامية (تفسير وحديث واحكام ومختلف فروع الفقه وتشريع عقلي ونقلي) ، وعلى راسها علوم القرآن الكريم) ، فان دراسة ذلك يقضي الالمام بها للتزود باكبر رصيد ممكن من فقهها الواسع الكبير .

لا يمكن ، لاي مسلم عربي او اعجمي والحالة هذه ان يدرس الاسلام ويتعلم اصول الدين وفروعه الا بتعلم اللغة العربية .

فهذا التوافق والتلازم هو الذي سبب انتشار اللغة العربية في اجزاء كثيرة من العالم ، مثل ايران وتركيا (واربا الغربية ، سيما انجلترا وامريكا) واندونيسيا وافغانستان وغيرها ، ولا يخلو بلد فيه مسلمون الا وبه مركز اسلامي لتعليم القرءان الكريم واصول الدين الاسلامي الحنيف واحكامه ، ودراسة اللغة العربية . ففي ايران على سبيل المثال تظهر لنا المطابع كل يوم مؤلفات عربية غاية في الاتقان وجودة الطبع في تفسير القرءان الكريم والحديث النبوي الشريف ، ومختلف كتب الادب والتاريخ والشعر . وفي لواء خراسان توجد كلية اسلامية تدعى « كلية المعقول والمنقول » للدراسات الاسلامية واللغة العربية وآدابها. ومن بين اساتذتها مدرسون ايرانيون تبحروا في اللغة العربية، لكي يفهموا طلابهم امور دينهم الحنيف بواسطتها . فكل مسلم غير عربي سواء كان ايرانيا او هنديا او تركيا لابد له من تعلم اللغة العربية قبل الشروع في التفقه في الدين الاسلامي .

وقد اجاب شاعر النيل المرحوم حافظ ابراهيم حيث قال في شان هذه اللغة العظيمة :

« وسعت كتاب الله لفظا وغاية »

وهكذا فالرأي القائل بوجود علاقة بين الاسلام واللغة العربية ، راي صائب لا شك فيه ، ولولا الاسلام كما تاتى للغة العربية ان تنتشر في العالم ، كما انه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرءان ما انتشر الاسلام .

ومن جهة اخرى فالوعي الاسلامي والوازع الديني يقويان ويضعفان تبعا لما يعترى لغة الضاد من قوة وضعف. هذه حقيقة واضحة لا جدال فيها في كل بلد اسلامي .

ان الفكر الاسلامي قد تاثر بلغة القرءان وان المسلمين على اختلاف لغاتهم وقومياتهم قد عنوا باللغة العربية اشد عناية ، ليتسنى لهم تلاوة القرءان المجيد وتفسيره ودراسة الحديث النبوي الشريف وفهمه ، وقد انكبوا على دراسة مختلف فروع هذه اللغة من فلسفة ومنطق وبلاغة وبيان وبديع ونحو وصرف ، وحتى علوم العروض ، ودرسوا أوزان الشعر وقافيته وبحوره ، فاستطاعوا التمييز بين غث الحديث وسمينه وبين الحديث الصحيح والموضوع والشعر الركيك والجيد البليغ . نشطوا فى ذلك واتسعت اللغة وانتشرت آدابها . فظهرت طبقات الشعراء والنحويين فكثر الحديث وازدادت الرواية ، ونشط التاليف فى علم الرجال ، وكثر الجدل بين العلماء ، وذلك فى مختلف العصور الاسلامية ، كالعصر الاموي والعصر العباسي الاول والثاني الى يومنا هذا.

فنجد كثيرا من الكتب الدينية الاسلامية المطبوعة باللغة العربية ناطقة بفصيح لسانها وبديع بيانها ، شاهدة على صدق قولنا ، مترجمة للاسلام ومبادئه الراسخة وعقيدته الصالحة موضحة ببيان جلي الارتباط الوثيق بين انتشار الاسلام ولغة العرب، فصدرت هذه الكتب الى البلاد الاسلامية المختلفة ليدرسها المسلمون ويفهموا دينهم الحنيف بواسطة لغة القرءان الكريم ، وهكذا فان هذه اللغة خالدة خلود الزمان ما دامت هي لغة القرءان الخالد ودستور الاسلام الاكبر .

وللغة العربية مؤهلات ذاتية تجعلها لغة العلم فضلا عن مميزاتها كلغة للشريعة والآداب فهي متسعة الآفاق ، غنية بمفرداتها ومترادفاتها وكناياتها وايماءاتها وموادها التي وصفت دقائق المعاني وبسائط الاشياء وابعاض المركبات وجزئيات المفردات وارق الاحوال ، فلكل مفهوم كلمة ولكل حال دلالة .

هذا بالاضافة الى مرونتها البالغة وقابليتها الفياضة للنحت والاشتقاق .

واللغة التي يكون لها هذا الرصيد العظيم لا يمكن ان يضيق لها مجال كلغة للفكر والعلم .